

إضاءات عن العمارة السودانية

Lights on Sudanese Architecture

م.م/ موفق محمود موسى

(ماجستير معمار جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا)

Assist.Lect. Mowfaq Mahmoud Musa

Master's degree of Architecture, Sudan University of Science and Technology

mowfaq1973@yahoo.com

المستخلص:

تعتبر مراحل تطور عمارة السودان الحديث كالتالي: مرحلة الإستعمار, عمارة الحداثة وما بعد الحداثة ونجد فيها العمارة المعاصرة بمختلف أفكارها بالإضافة للعمارة الملساء (عمارة الزجاج), حيث نجد أن لكل مرحلة روادها من المعماريين الذين ساهموا في تطورها, مع ذكر الإسهامات الأخرى للمعماريين في جوانب تخصص علم العمارة, وكذلك إيضاح بعض الإخفاقات في العمارة السودانية, لنخلص الي أن العمارة السودانية مرت خلال مراحل عديدة لها منتوجها المعماري وإسهامات معماريها ونجاجات وإخفاقات جعلتها في حالة صعود وهبوط حتى إندلعت الحرب الحالية (أبريل 2023) لتوقف عجلة تطور العمارة بل تهدم أجزاء من المنتوج المعماري والتراثي أيضاً.

الكلمات المفتاحية:

إضاءات, العمارة السودانية, عصر الحداثة

Abstract:

The stages of development of the modern architecture of Sudan are as follows: colonial architecture, modernity architecture and so And after modernity we find in it contemporary architecture with its various ideas by adding to the smooth architecture (architecture Glass), where each stage of its pioneers of architects contributed to its development, with contributions mentioned, Other architects in aspects of architecture science, as well as illustrating some failures in Sudanese architecture, Let's conclude that the Sudanese architecture has passed through many stages with its architectural product and the contributions of its architecture. And the results and failures made it up and down until the current war broke out. (April 2023) to stop the development of architecture and even demolish parts of the architectural and heritage product also

Keywords:

Illuminations, Sudanese architecture, the era of modernity

مقدمة:

يعتبر المعمار المرأة الحضارية للشعوب, فنجد إن بداية المعمار المائل أمامنا في السودان منذ عهد التركيبة السابقة بعد إنهيار الدولة السنارية (سلطنة الفونج) في بداية القرن التاسع عشر وعهد الدولة المهديّة, ويعتبر ما قبل ذلك من إرث معماري في كل المدن السودانية تم هدمه بكثير من الأسباب السياسية, الإستراتيجية, عوامل المناخ, الإهمال وعدم الوعي, والأمثلة كثيرة

لذلك ناهيك عن عدم التوثيق لذلك العمران عدا مدينة سواكن التي تم التوثيق لها, ولم تسلم حتى مدينة الخرطوم بعد قيام الدولة المهدية.

أهمية الدراسة:

تأتي الأهمية في تسليط الضوء على العمارة السودانية كجزء من العمارة العالمية في نطاقها الإفريقي, العربي والإسلامي.

أهداف الدراسة:

1. التعريف بنشأة ومراحل تطور العمارة في السودان الحديث.
2. معرفة المعماريين عبر مراحل العصور المختلفة للعمارة السودانية مع ذكر الإسهامات التي قدموها.
3. توضيح بعض الإخفاقات في العمارة السودانية.

مشكلة الدراسة:

إمكانية توضيح مراحل تطور العمارة السودانية وتصنيفاتها التاريخية وإرتباطاتها مع العمارة العالمية.

عمارة الإستعمار:

في نهاية القرن التاسع عشر بدأ معمار الإستعمار بإحياء مدينة الخرطوم بعد هدم أغلب مبانيها أثناء فترة الدولة المهدية, بسماته المعهودة مع أخذ بعض السمات من العمارة الإسلامية والمحلية, في كل أنواع المباني الإدارية, التعليمية, الصحية, الخدمية والسكنية, وإشتهر هذا العهد بالمعماريين الأجانب من جنسيات مختلفة, إنجليز, أغاريق, يهود وغيرهم, وكان أشهرهم المعماري إستفانيديس الذي ترك بصمته في معمار تلك الحقبة, وأستمر هذا المعمار حتى الأعوام الأولى بعد الإستقلال الى حين ظهور المعماريين السودانيين في ستينات القرن الماضي.



نماذج لعمارة الإستعمار

عمارة عصر الحداثة:

حيث إشتهرت بأعمال المعماري النمساوي بيتر مولر في ذلك الحين, ثم بدأ وازدهر عصر الحداثة في العالم وتزامن ذلك مع فجر الاستقلال عام (1956) حيث تم إبتعاث مجموعة من الطلاب لدراسة المعمار في بريطانيا, وتم تأسيس قسم المعمار عام (1957) في كلية الهندسة التي تأسست (1939) بجامعة الخرطوم والتي تأسست باسم كلية غردون التزكارية عام (1902) وكان ذلك بإنتداب أساتذة من بريطانيا.



نماذج لعمارة خمسينات وستينات القرن العشرين

حيث كانت سمات معمار الحداثة هي السائدة في السودان منذ بداية ستينات القرن الماضي بالأفكار التي تشبع بها المعماريين السودانيين بعد العودة من إبتعائهم، والذين تخرجوا من قسم العمارة جامعة الخرطوم على أيادي الأساتذة البريطانيين آنذاك، حيث تخرجت أول دفعة عام (1961).



نماذج لعمارة الحداثة

يعتبر المعماري السوداني عبد المنعم مصطفى من أشهر معماريي تلك الفترة وأستاذ أجيال المعماريين، مما له من إسهامات عدة في كثير من المباني التي ميزت عصر الحداثة في السودان ومن أشهر أعماله فيلا المفكر السوداني منصور خالد، وعبد المنعم مصطفى من اوئل الأساتذة السودانييين في قسم العمارة جامعة الخرطوم.

عمارة ما بعد الحداثة:

ومن ثم وجد الكثير من المعماريين الذين أنخرطوا في بناء السودان وساهموا في تخطيط الأحياء والمناطق الجديدة بعد الإستقلال ولكن واجهتهم كثير من العقبات نظراً لتقلب الحكومات والسياسات وكذلك المشاكل الإقتصادية وعدم وجود رؤية واضحة للتنمية في البلد ناهيك عن العمارة، مما أدى لحالة من الصعود والهبوط في العمارة بالرغم من ظهور اتجاهات ما بعد الحداثة في العالم وحتى تسعينات القرن الماضي، وفي تلك الحقبة أشتهر المعماري كمال عباس ولم يكن الوحيد ولكن بكثرة أعماله حيث له إسهامات كبيرة من العمائر والفلل. وظهرت القليل من الأعمال الكبيرة بأفكار معمارية و رؤى مختلفة وعميقة في معانيها التشكيلية والوظيفية منها بأيدي سودانية وأخرى أجنبية مثل نادي ضباط القوات المسلحة، مجلس الشعب، قاعة الصداقة، جامع النيلين، وغيرها من الأعمال.



نماذج لإتجاهات ما بعد الحداثة

وفي تسعينات القرن الماضي حيث شملت البلاد ثورة للتعليم العالي تم إنشاء العديد من الجامعات والكليات على إثرها أفتحت عدة أقسام للعمارة تجاوزت (20) قسم وكلية للعمارة في جميع أنحاء السودان حتى الآن، تخرج منها العديد من المعماريين الذين درسوا وتعلموا كل أشكال وأنواع ومدارس العمارة على أيادي أساتذة سودانيين بأفكار متنوعة وهي السمة الرئيسية لعمارة ما بعد الحداثة وأستلهمت أفكار من التراث المعماري حيث ظهرت أشكال معمارية غير مالوفة ومختلفة عن السابق ومنتوعة ولها مرجعيات عديدة، فإنشأت العديد من الشركات الإستشارية وبيوت الخبرة مثل حمدي الاستشارية والدار الإستشارية ومرتضى معاذ الإستشارية ودار العمران، وغيرهم الكثير من اللذين ساهموا في تطور العمارة، وتميز بعض المعماريين بنقل التراث المعماري بطرق عصرية مختلفة واشهرهم المعماري جاك إسخانص حيث تميز بعمارة البيت النوبي وهو يعتبر المعماري حسن فتحي أستاذة وملهمه، ونجد في أعمال المعماريين حيدر ومرتضى معاذ ما هو مستلهم من عمارة الإستعمار (الكلونيال)، وخلاف لذلك نجد العمارة الملساء أو عمارة الزجاج في المباني العالية متعددة الطوابق لشركات البترول والبنوك وبعض الإدارات والهيئات الحكومية والفنادق بتصاميم مستجلبية من الخارج.



(إتجاهات ما بعد الحداثة) نماذج للعمارة المعاصرة



(إتجاهات ما بعد الحداثة) نماذج للعمارة المساء او عمارة الزجاج

إسهامات بعض المعماريين:

وفي هذه الإضاءة عن العمارة السودانية أود الذكر أن كل ما ذكر من أمثلة لأعمال معمارية ومعماريين على سبيل المثال وليس الحصر حسب صياغ المقال والعصور والأزمنة لتلك الأعمال وهؤلاء المعماريين, كما أن هناك إسهامات عديدة في تخصصات علم العمارة فنجد مؤلفات المعماري سعود صادق عن علوم العمارة, ودراسات المعماري الفاضل آدم عن المباني قليلة التكلفة والمواد المحلية, والمعماري عثمان الخير ودراساته عن التراث والبيئة حتى أصبحت فلتته التي صممها ونفذها على طراز البيت النوبي مع إضافة تقنيات التبريد غير المباشر أصبحت محور للدراسات المعمارية والبحوث التراثية والبيئية, والمعماري عبد الله صبار وإتجاهاته التراثية والبيئية والتي ظهرت في تصميم وتنفيذ متحف كرمة ومبنى السفارة الكويتية, والمعماري عادل مصطفى وإتجاهاته النقدية ومؤلفاته, والمعماري حسن محمود الذي قام على أكتافه منتدى السودان للعمارة بنشاطاته وفعالياته المستمرة فأصبح مركزاً للتنوير المعرفي المعماري بالذات لصغار المعماريين, والمعماري عبد الرحيم سالم وجهده الكبير للتوثيق المعماري لمدينة سواكن, وأستاذ الأجيال المعماري والناقد هاشم خليفة بدراساته عن العمارة والبيئة والتراث بمؤلفاته ومقالته وتوثقاته ومدوناته التي شكلت وجدان الكثير من المعماريين. وختاماً لابد من ذكر الدور الكبير التي تقوم به جمعية المهندسين المعماريين السودانية من حيث تنظيم المهنة والتوعية والرقابة والتنسيق بين الصروح التعليمية والجهات الحكومية ذات الصلة بالرغم من الصعوبات التي تواجهها بالذات النواحي القانونية والتنظيمية.

إخفاقات مرت بها العمارة السودانية:

إنتشرت العديد من الأعمال المعمارية في جميع ولايات السودان للمعماريين الجدد اللذين تخرجوا من أقسام و كليات العمارة السودانية نتج عنه معمار متنوع, وفي خضم هذا التنوع لا توجد رؤية حكومية واضحة لتنظيم المناطق الحضرية وكذلك نقص في القوانين الرقابية على المباني والأحياء السكنية مما يعد خصماً من جمال هذا التنوع المعماري في بعض المناطق, وأيضاً في ظل هذا الكم من الأعمال المعمارية نتجت عمارة فقيرة من هنا وهناك بأفكار فطيرة ضيقة الأفق أحدثت تشوهات في العمارة السودانية المعاصرة لا تؤخطها عين الإنسان العادي ناهيك عن المعماري, واللافت للإنتباه في هذه الفترة إنتشار عمارة المباني الجامعية في الكثير من المدن نسبة للجامعات التي أنتظمت في جيع أنحاء البلاد, منها ما يرتقي بالجمال المعماري ومنها ما دون ذلك.

الخلاصة:

وبذلك نجد أن العمارة السودانية مرت بمراحل عديدة من النجاحات والإخفاقات وأن العمارة المعاصرة في مرحلة التكوين والإنطلاق بجودة كبيرة وبمؤشرات نجاح عديدة ظهرت للعيان من حيث تنوع الأفكار المعمارية بإستخدام كل المعينات التكنولوجية في التصميم والتنفيذ, وأن الحرب الدائرة الآن أوقفت عجلة هذا التطور وأصبحت أكبر معوق للنمو والأزدهار للعمارة السودانية بل ومهدم للمنتوج المعماري المعاصر وكذلك التراث العماري, ومازالت الحرب مستمرة ولعدة أشهر منذ منتصف أبريل (2023) وحتى كتابة هذا المقال.

المراجع

المراجع العربية :

1. محمد إبراهيم أبو سليم 1991م، تاريخ الخرطوم، دار الجيل بيروت، لبنان ، الطبعة الثالثة.
1.muhamad 'iibrahim 'abuslim 1991m ,tarikh alkhartum, dar aljil bayrut, lubnan , altabeat althaalithati.
2. رحاب موسي الأحمر 1998م، رسالة ماجستير في التخطيط العمراني، جامعة أمدرمان الاسلامية.
2.rihab musi al'ahmaru1998mi, risalat majistir fi altakhtit aleumrani, jamieat amdirman alaslamiati.
3. ندي محمد رمضان، 2015م، أطروحة دكتوراه، نحو منهج للحفاظ على التراث المعماري والعمراني بالخرطوم الكبرى، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية العمارة.
3.ndi muhamad ramadan, 2015ma, 'utruhat dukturah, nahw manhaj lilhifaz ealaa alturath almiemarii waleumranii bialkhartum alkubraa,jamieat alsuwdan lileulum waltiknulujiya, kuliyat aleimarati.
4. رحاب شاهين صالح شاهين، 2015م، رسالة ماجستير، التشكسل البصري لمنطقة أمدرمان القديمة والسوق، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية العمارة.
4.rihab shahin salih shahin, 2015m, risalat majistir, altashaksul albasariu limintaqat 'amdirman alqadimat walsuwqu,jamieat alsuwdan lileulum waltiknulujiya, kuliyat aleimarati.
5. موفق وآخرون. 2018. أثر التشكيل في التراث المعماري دراسة حالة ولاية الخرطوم، الجزائر. مجلة آفاق المعرفة.
5.muafaq wakhrun. mi2018. 'athar altashkil fi alturath almiemarii dirasat halat wilayat alkhartum, aljazayir.mjalat afaq almaerifati.
6. عادل مصطفى احمد 2021م، الحداثة في عمارة مدن السودان الصعود والهبوط، دار مدارك السودان.
6.eadil mustafaa aihmad 2021m, alhadathat fi eimarat mudun alsuwdan alsueud walhubuta, dar madarik alsuwdan.
7. موفق محمود موسى 2022م، أثر البيئة في تشكيل التراث المعماري الإستعماري (الكلونيالي) وكيفية الإستفادة منها في العمارة السودانية المعاصرة بالخرطوم، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية.
7.muafaq mahmud musaa 2022ma, 'athar albiyat fi tashkil alturath almiemarii al'iistiemarii (alkulunyali) wakayfiat al'iistifadat minha fi aleimarat alsuwdanialt almueasirat bialkhartum, majalat aleimarat walfunun waleulum al'iinsaniati.
8. Yasmin Osman 2016, **the impact of sustainable passive cooling in housing (case study: greater Khartoum (architect Osman elkhair own house)**, Sudan University of Science and Technology.

المواقع الإلكترونية :

- 1- <https://www.researchgate.net/publication/342520926>
- 2- <https://www.google.com>
- 3- www.alrakoba.net/albums-action-show-id-2741.htm
- 4- Collection: G.B Bridgman , 20165.1.5 Examples of some
- 5- <https://www.flickr.com/photos/qusai/4554420900/in/photostream>
- 6- Sudan Archive/Durham (Ref. SAD 786-004-012
- 7- [www.suna news.com http/](http://www.suna news.com)
- 8- <https://www.flickr.com/photos/qusai/4554420900/in/photostream>

المصادر:

- 1- منتدى السودان للعمارة, مهندس معماري حسن محمود.
- 2- مدونة المعماري بروفيسور هاشم خليفة.